مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا

مؤتمر الأئمة الثالث عشر

شيكاغو - أمريكا

ظاهرة الإرهاب في المشرق

أسبابها، والرد على الفتاوى المبررة لها، والحلول المنهجية للتخلص منها

الدكتور

محمد موفق الغلاييني

عضو مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء التابعة له.

نائب رئيس مجلس أمناء الجامعة الإسلامية بأمريكا الشمالية (مشكاه)

عضو مجلس أمناء إتحاد الأئمة بأمريكا الشمالية

المقدمة ٤
المبحث الأول: الممارسات الإرهابية في الشرق: أسبابها وجذورها الفكرية ٦
مقدمة: ٦
الأسباب الموضوعية وراء نشوء هذه الجماعات: ٦
الجذور الفكرية للجماعات الإرهابية: ١٤
أسباب عودة التكفير في عصرنا الحاضر: ١٦
من هو المسؤول شرعاً عن تطبيق أحكام الإسلام ؟ ومتى يتم ذلك؟ ١٨
لمحة تاريخية مختصرة حول أسباب نشوء مايسمى بتنظيم الدولة الإسلامية بالشام والعراق: ٢٠
المبحث الثاني: الهجوم على أهل السنة والجماعة وأثره في تأجيج نار الإرهاب ٢٢
الأهداف الحقيقية لثورة الخميني: ٢٢
شبهات الشيعة الإمامية ضد السنة: ٢٣
المبحث الثالث: الفتاوى الشاذة التي يعتمد عليها الإرهابيون عموماً والرد عليها ٢٥
فتاوى استحلال دماء أهل السنة: ٢٥
فتاوى استحلال المتطرفين من السنة لدماء من يخالفهم من طائفتهم: ٢٦
ماهو التوصيف الشرعي لهؤلاء المتطرفين الإرهابيين؟ ٢٧
الحكم الشرعي في التكفير: ٣٠
المبحث الرابع: الحلول المنهجية للتخلص من هذه الظاهرة ٣٢

المقدمة

ظل مجمعنا المبارك (مجمع فقهاء الشريعة بأمريكا) آخذ على عاتقه الإستجابة لما يجد من نوازل فقهية في أمريكا فحسب لكونه أنشئ أصلاً لهذا المقصد، ولكن الأحداث المضنية والأليمة التي تنزل بالمسلمين عموماً وفي بلاد المشرق بخاصة أرقت ولا زالت تؤرق مضاجع كل غيور على الإسلام والمسلمين. فالمسلمون كالجسد الواحد كما ورد في الحديث الذي رواه النعمان بن بشير مرفوعاً: **"مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى"**[1]

لذا كان لا بد من الإسهام في علاج هذه النوازل خاصة وأنها وصلت لعقر دارنا في أمريكا. فقد ظهرت جماعات من الشباب المسلم تؤمن بالعنف طريقاً واحداً لإقامة دين الله سبحانه في الحياة. فآمنوا بأنه لا بد من استعمل القوة للوقوف في وجه من يحول دون ذلك مدعين بأن هذا هو السبيل الوحيد الآن لإعادة مجد الإسلام وتحكيمه في واقع الحياة ليكون قائداً للدولة والمجتمع معاً. وقد أصاب المسلمين في مواطنهم بلاء عظيم نتيجة لهذا النوع من التفكير، بل امتد هذا البلاء ليشمل بلاداً أخرى مثل بعض البلدان الأوروبية – وبصورة طفيفة أمريكا –

لذا غدا من الضرورة بمكان أن نتصدى لهذه الظاهرة الخطيرة والتي شوهت سمعة الإسلام والمسلمين، بل وأعاقت من جهود الدعاة الذين يبذلون جهوداً حثيثة في بيان حقائق الإسلام والرد على الشبهات المثارة – وبخاصة في ديار الغرب – بالحكمة والموعظة الحسنة مع وحث المسلمين باستمرار على التمسك بأهداب دينهم الحنيف.

من هنا كان لا بد من قيام مرجعية هامة للمسلمين في أمريكا كمجمع الفقهاء بواجبها تجاه هذه النازلة. فأهل العلم هم خط الدفاع الأول الذين يناط بهم الدفاع عن بيضة الدين ومعالمه ملبين حاجة الناس لفهم دينهم وإزالة اللبس والرد على الشبهات المثارة من جهة، وبيان الأحكام الفقهية المتعلقة بالموضوع من جهة أخرى. ونحن لسنا بدعاً في هذا إذ لم يزل علماؤنا عبر العصور قائمين بالذود عن حياض هذاالدين خير قيام، وبذلك حموا حقائقه من التشويه، ومعالمه من التدنيس. ولا بد لنا نحن أهل العلم الشرعي من متابعة هذه المسيرة المباركة مستعينين بالله سبحانه متكلين عليه.قال تعالى معاتباً أهل الكتاب لعدم قيامهم بهذه المسؤولية: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْاْ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[2]

(١) رواه البخاري (٥٦٦٥)، ومسلم (٢٥٨٦)

(٢) سورة آل عمران الآية: ١٨٧

ونظراً لما لهذا الموضوع من الأهمية كما بينت فقد اخترت الكتابة فيه،

ويشتمل على أربعة مباحث هي:

المبحث الأول : الممارسات الإرهابية في الشرق: أسبابها وجذورها الفكرية.

المبحث الثاني : الهجوم على أهل السنة والجماعة وأثره في تأجيج نار الإرهاب.

المبحث الثالث : الفتاوى الشاذة التي يعتمد عليها الإرهابيون عموماً والرد عليها.

المبحث الرابع : الحلول المنهجية للتخلص من هذه الظاهرة.

المبحث الأول

الممارسات الإرهابية في الشرق: أسبابها وجذورها الفكرية

مقدمة:

لم تعرف المنطقة العربية في المشرق هذا اللون من العنف في التعبير عن الرأي إلا بعد إحتلال أمريكا للعراق فيما سمي بحرب الخليج الثالثة عام: ٢٠٠٣م إذ شعر بعض المسلمين بالخطر نظراً لعودة الإستعمار للمنطقة لأو ل مرة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية عام: ١٩٤٥م وذلك تحت مبررات جديدة واهية لم يصدقها الا القلة، وهي وجود أسلحة تدمير شامل لدى العراق، إضافة لوجود صلة بين النظام العراقي وتنظيم القاعدة.

ثم تطور الأمر بصورة متسارعة ليأخذ الصراع شكلاً طائفياً نظراً لاستغلال الشيعة في العراق لسقوط النظام العراقي مما مكنهم من الإمساك بمقاليد الأمور بمساعدة أمريكا والنظام الإيراني المؤمن بتصدير ما يسمى بثورة الخميني ليحقق حلمه القديم بضم العراق الى نظام حكمه. ورافق هذاالتغيير اضطهاد شنيع لأهل السنة بدأ يتسع مع مرور الوقت. ومن البدهي أن تنشأ ردة فعل عنيفة من أهل السنة على هذه الأحداث المفجعة. ولكنها- مع مرور الوقت- بدأت تأخذ شكلاً تنظيمياً متطرفاً استفاد أربابه من تفكير القاعدة.

انتقلت الصراع لسورية بعيد قيام الثورة الشعبية المناهضة للحكم الطائفي المتمثل بآل الأسد وطائفته النصيرية عام ٢٠١٣م [(١)] فقد ابتدأت هذه الثورة سلمية بقصد الحصول على الحقوق الأساسية للشعب السوري من حرية وكرامة وعدالة إجتماعية، ولكن النظام واجهها بالقمع العسكري الوحشي، مما استدعى تكرار السيناريو الذي حدث بالعراق من نشوء امتداد للتنظيم المسمى بدولة الخلافة في العراق فأضافوا الى مسمى دولتهم الشام. فأصبح (دولة الخلافة للعراق والشام)

وبهذا أخذ الصراع يأخذ شكلاً عقائدياً دموياً اتسم بالعنف الشديد الذي لم يعهد بمثله من قبل.

الأسباب الموضوعية وراء نشوء هذه الجماعات:

لا يمكن عقلاً أن تتشكل هذه الجماعات بدون مبررات قوية تسطيع من خلالها إقناع الشباب بالإلتحاق بصفوفها، وهذا

(١) النصيرية حركة باطنية ظهرت في القرن الثالث للهجرة، مؤسسها: أبو شعيب محمد بن نصير البصري النميري ت ٢٧٠ه أصحابها يعدُّون من غلاة الشيعة الذين زعموا وجوداً إلهيًّا في علي وألهوه به، ويعتقدون أن ظهر بالمظهر الآدمي لإيناس الناس. مقصدهم هدم الإسلام ونقض عراه، فهم كانوا مع كل غاز لأرض المسلمين، ولقد أطلق عليهم الاستعمار الفرنسي لسوريا اسم العلويين تمويهاً وتغطية لحقيقتهم الباطنية.

ماتم بالفعل. فياترى ماهذه الأسباب الموضوعية الكامنة وراء نشوئها؟

أستطيع إجمالها بالنقاط التالية:

١ – أنظمة القمع السائدة في العالم العربي عموماً.

٢ – تجفيف المنابع، وإبعاد العلماء المخلصين عن مراكز التوجيه.

٣– ظهور المد الشيعي، ومحاولته الدؤوبة للسيطرة على العالم الإسلامي.

٤ – الحالة الإقتصادية المزرية.

١ – أنظمة القمع السائدة في العالم العربي عموماً:

لم ينعم العالم العربي بالإستقرار بعد رحيل المستعمر الغربي من بلاده، فقد سيطر على الحكم في أكثر أقطاره فئآت تتبنى فكراً مستورداً سواء من الشرق أو الغرب، واتسم حكمهم بالإستبداد لبعدهم عن تقوى الله، ولبعد مناهجهم عن ضمير الأمة ودينها، فلم يجدوا سبيلاً لترويض شعوبهم إلا بالقهر والإستعباد. ونتج عن هذا استئثارهم بالسلطة مع ممارستهم للفساد، لأن الإستبداد لا يعيش في جو نقي إذ لا بد له من شراء الذمم ليضمن بقاءه في السلطة.

كما أن أنظمة الإستبداد لا تسمح بالإنتقاد أو بالحوار، وبالتالي فلا وجود إلا لرأي واحد فقط هو رأي السلطة. فالفرد عليه أن يتبنى كل ما يصدر عنها بدون نقاش وإلا فالنتيجة معروفة: الحرمان من الحقوق أو السجن مع التعذيب المضني حتى الموت، وقد يصل الأمر أحيانا للقتل الجماعي المتعمد داخل السجن.[(١)] أو رمي المتظاهرين السلميين بالرصاص الحي كما حصل خلال الثورات العربية الحديثة فيما سمي بالربيع العربي.

ولا شك أن هذا الجو من القهر والإستبداد يولد ردة فعل لا تحمد عقباها، وبخاصة مع تراكم الأزمات وانسداد الأفق أمام الأجيال الصاعدة أمام أي تغيير أو إصلاح.[(٢)]

(١) كما حصل من مذبحة للإخوان المسلمين في سجن ليمان طره بمصر أيام جمال عبد الناصر، وفيما بعد في سجن تدمر بسوريه أيام حافظ الأسد عليه من الله مايستحق. حيث تم في كلا المجزرتين قتل المساجين بالرصاص وهم في الزنازين.

(٢) ذكر الأستاذ: لاشين أبو شنب حين كنا نعمل معاً بجامعة محمد بن سعود الإسلامية بالرياض حادثة وقعت في أحد سجون مصر أيام حكم أنور السادات ملخصها أن السجانين جلبوا طفلاً مولوداً حديثاً للسجن، ونودي على والده، وبعد إخباره بأن هذا ابنه قام الضابط بقذف الطفل نحو الحائط بقوة شديدة فخر الطفل صريعاً، فقال

وإضافة لهذا عمدت هذه السلطات غالباً – في محاولتها لتثبيت سلطانها– للتحالف مع إحدى الدول الأجنبية الكبرى من الغرب أو الشرق لتقوية نظام حكمها. وهذا مما زاد من حنق شعوبها عليها لأن هذه الدول الكبرى لا ترعى فينا إلاً ولا ذمة، بل هي تدور دائماً حول مصالحها ومطامعها السياسية السيئة، وكم بذلت شعوبنا من دماء زكية في سبيل التحرر من سلطانها العسكري والسياسي والإقتصادي فإذا بها ترجع على أيدي هؤلاء المستبدين من باب الأمة الخلفي. فكان سؤال بعض الشباب المسلم المتحمس هو التالي: كيف يُطلب منا السكوت والخنوع رغم هذه التصرفات المخالفة المسيئة للأمة ولتطلعاتها في التحرر والنهضة.

وهكذا نشأت هذه التنظيمات المتشددة التي تؤمن بالعنف بوصفه السبيل الوحيد للتغير كنتيجة طبيعية للقمع والإستبداد السائدين وللتحالف مع الدول الكبرى المعادية لتطلعات الشعوب المسلمة.

وجرت الأحداث بعد انطلاق هذه الأفكار على نحو سيء وبصورة متسارعة أدت إلى سجن معظم قادة هذه المنظمات، فما كان منهم بعد إطلاق سراح بعضهم إلا أن قاموا بانشاء منظماتهم المتسمة بالعنف غير المقبول شرعا، وتلاحقت الأحداث المؤلمة بعد هذامن قتل وانتهاك للحرمات التي أمر الشارع بحفظها وحمايتها بغض النظر عن ديانة أصحابها.[١]

٢– تجفيف المنابع، وإبعاد العلماء المخلصين عن مراكز لتوجيه:

أول من بدأ بهذا الأمر الخطير نادى بهذا من الدول العربية: مصر التي نشأت فيها حركة سميت من قبل الحكومة بالجهاد والهجرة.[٢] ثم انتقلت العدوى إلى عدة بلدان عربية أخرى.

والسؤال الآن: ماهي المنابع التي أرادوا تجفيفها؟ إنها القرآن والسنة وما تفرع عنها من علوم، وبخاصة التاريخ الإسلامي.

اتخذ هذا التجفيف ثلاثة أشكال أساسية هي:

١– التقليل من محتوى مقرر التربية الإسلامية في المدارس العامة، فالمنهاج يقتصر على بعض شعائر العبادة، و مفردات

مصطفى شكري مخاطباً المساجين: أهؤلاء مسلمون؟ وبهذا الفعل وأمثاله ولدت فكرة التكفير في السجن، ولهذا قام مصطفى شكري بتشكيل جماعة سماها: أمة المسلمين، واشتهرت فيما بعد باسم: (التكفير والهجرة)وقد نسبت إليها أعمال قتل طالت بعض السواح الأجانب.

(١) هناك تفسير آخر لقدرة هؤلاء المتطرفين على تنفيذ ما خططوا له بهذه السرعة العجيبة وهو أن السلطة الغاشمة نفسها قررت إطلاق العنان لهم ليقيموا دولتهم المتطرفة مما يعطي مبررا للحكام المستبدين أمام العالم لما يقومون به من التنكيل بالشعب بدعوى محاربة الإرهاب، وهذا حصل فعلاً حين حرروا بعض السجناء من القادة المتطرفين من سجن (صيدنايا) قرب دمشق، وسجن (أبو غريب) في العراق وبذلك أعطوا الفرصة لهم للتوجه لبلدة الرقة بسورية فسيطروا عليها وجعلوها عاصمة لهم.

(٢) تأسست عام ١٩٧٣م في مصر وهذة الجماعة تم حظرها من قبل حكومة انور السادات، بسبب مناهضتها لتوقيع اتفاقية السلام مع اسرائل فقامت بالزج بكل قيادات هذه الجماعة في السجون. أنشأها مصطفى شكري كما ذكرت سابقاً.

مختارة في الجانب الأخلاقي، إضافة لعدم إعطاء هذا المقرر الإهتمام اللائق به. فلا تحسب درجاته في السنة الأخيرة من الثانوية العامة.[١] ويتم وضع ساعاته في نهاية اليوم الدراسي غالباً، وعندها يكون التعب قد بلغ مداه عند الطلاب، إضافة للتقليل من قيمة مدرس هذا المقرر بطرق شتى.[٢]

كما تم حذف ما يتعلق بالجهاد وأثره في التاريخ الإسلامي قديماً وحديثاً، بل وصل الأمر إلى إلغاء مايتعلق بقضية فلسطين التي كانت تعتبر القضية الأم في مناهجنا حتى عهد قريب.

جاءت هذه الحركة المريبة في بعض الدول العربية نتيجة للضغوط الخارجية المطالبة بتغيير المناهج التربوية والتعليمية حتى بلغ مستوى هذا الضغط لحد شنيع، ففرضت توصيات تحول دون وصول المتدينين الواعين لمواقع القرار في وزارات التربية والتعليم مما ترك أثراسيئاَ جداً على مناهج التعليم في بلداننا العربية.

٢- التشويه المتعمد لبعض أو لكثير من حقائق الدين والتاريخ الإسلامي. فيعرض الإسلام على أنه مجرد تعاليم لتكوين الأخلاق الحسنة و ممارسة العبادات. وكأن الإسلام لا علاقة له بنظام بالحياة الإجتماعية أو الإقتصادية أو السياسية. وهذا يعتبر ممارسة عملية للعلمانية في التعليم.

والسؤال المنطقي الآن: من أين ستستقي الأجيال الجديدة تصوراتها الحقيقية عن الإسلام إذا كانت المدارس الرسمية لا تزودها بالقدر الكافي ولا بالصورة السليمة المتكاملة؟

٣- إبعاد المدرسين المتدينين في أي تخصص كانوا. بل وصل الأمر في سورية الى حد إدخال بعض النصيريين[٣] في كلية الشريعة ليصبحوا مدرسين لمادة التربية الإسلامية!

وبهذا لا يكون أمام الطلاب قدوة حقيقية للمسلم الممارس لدينه ليقتدوا به.

٣- ظهور المد الشيعي، ومحاولته الدؤوبة للسيطرة على العالم الإسلامي.

يعتبر الباحثون المد الشيعي من أحد أخطر التحديات التي واجهت - ولا تزال - الأمة الإسلامية ولاسيما في الآونة الأخيرة، فإحياء الإمبراطورية الفارسية أصبح أملاً يداعب خيال الصفويين الإيرانيين الجدد، وأملا سخّروا له كل طاقاتهم وإمكاناتهم لتنفيذه.

(١) هذا ما هو معمول به في المدارس العامة في سوريه. وأظن أنه معمول به أيضاً في بعض البلدان العربية الأخرى.

(٢) أول من بدأ بتطبيق هذه الخطة الماكرة في المدارس القس الإنكليزي:(دنلوب)والذي عين مستشاراً تعليمياً لوزارة المعارف المصرية في عهد اللورد كرومر أيام استعمار بريطانيا لمصر عام: ١٨٨٢م. أنظر: (واقعنا المعاصر) للأستاذ محمد قطب رحمه الله ص: ٢١٧ وما بعدها

(٣) نسبة إلى فرقة النصيرية. وهؤلاء كما ذكرت سابقاً لا يلتزمون بشعائر الإسلام بأي شكل من الأشكال، لأن لهم عقيدة باطنية خاصة.

بدأت فكرة التمدد الشيعي مع بداية حكم الخميني الذي أعلن فور انقلابه، تصدير ما يسمى بالثورة الإسلامية وذلك عام: ١٩٧٩م.

بدأ مشروع التمدد الشيعي متزامنا مع العهد الجديد لولاية الفقيه، والتي تعني عندهم

وجوب ولاء الجماهير الشيعية المطلق لنائب الإمام الغائب: (المهدي المنتظر)وهو ما يسمونه ولاية الفقيه.

يقول الخميني في كتابه: (الحكومة الإسلامية): مقررا عقيدة ولاية الفقيه:

(من حق الفقهاء بل من واجبهم ومن المفروض عليهم أن يسعوا إلى أن يكونوا خلفاء لإمام آخر الزمان، الإمام الغائب، وان يمتلكوا زمام الحكم كممثلين للإمام وكمندوبين عنه، ومن هنا تصبح طاعته واجبه ليس فقط كإمام بل كنبي ورسول)ومعنى هذا أنه ليس أمام جماهير المسلمين إلا السمع والطاعة لآيات الله لأنهم خلفاء الإمام الغائب المنتظر، وبهذا فلا حاجة له للشورى لأن رأيه هو الأول والأخير. وما مجلس الشورى وما شابهه إلا لذر الرماد في العيون.

بهذا الفكر غدا كل شيعي في الأرض ملزم بأمر ورأي خليفة الإمام المنتظر القابع في طهران أو بمدينة قم. وبذلك بدأ مبدأ تصدير الثورة بظهور الخميني ولهذا شنوا الحرب على العراق بقصد السيطرة عليها لوجود ما يسمونه المراقد المقدسة في النجف وكربلاء.

فالعراق – في نظر الفرس – هو بوَّابتهم ومدخلهم للعالم الإسلامي، وهي الأرض التي كانت تحت سيطرتهم أيام الإمبراطورية الفارسية التي يعملون على إعادتها. ولهذا قامت ايران بتحريض وتشجع الأقليات الشيعية على المطالبة بالاستقلال والمناداة بحكم ذاتي، وأُنشئت حينها بعض الأحزاب السياسية الشيعية المعارضة لحكوماتهم والتي أصبح لها في عالم اليوم صوت وضجيج، كحزب الدعوة الإسلامية في العراق، وحركة أمل ثم حزب الله في لبنان، وجبهة التحرير الإسلامي في البحرين وغيرها.

ولكن وبعد أن نجح الفرس في تصدير الثورة بقوة السلاحإلى العراق، جاء الدهاء الفارسي بتصدير الثورة بالدبلوماسية الهادئة مع الدعم العسكري الخفي لأنصارهم في كبنان وسوريه.

ومن ثم وعملاً بسياسة النفس الطويل، والتخطيط العميق، والعمل بالممكن، بدأ المد الشيعي يغزو البلاد الإسلامية عربيها وأعجميهاغير معترف بالحدود السياسية، وتم تسخير كل الإمكانيات، والمؤسسات، والأموال التي بلغت المليارات. فمن الأخبار المعلنة في هذا الصدد: أن خُمس عائدات النفط الإيرانية تُنـفقُ من أجل تحقيق هذا الهدف.

أما وسائلهم وطرقهم في نشر مذهبهم فهي كثيرة، ومن أهمها:

- رفع شعار محبة آل البيت، وتسميةُ مذهبهم بمذهب آل البيت، وقصر دعوتهم في البداية على محبة آل البيت وفضلهم وحقوقهم، وهذه الطريقة تلاقي هوى عند أهل السنة لما لآل بيت النبوة من مكانة عندهم لا يتطرق إليها الشك. ولكن الخطة بعد هذا هي الطعن فيمن سلب حق آل البيت واغتصبه منهم بل وقام بظلمهم، وهم أصحاب رسول الله ﷺ ــ كما يزعمون ــ ثم تأتي مرحلة الطعن والغمز واللمز بالغالبية العظمى من الصحابة وتخوينهم، ثم لعنهم وتكفيرهم في آخر الأمر والعياذ بالله.

أما أماكن قبور آل البيت، فقد كانت هدفاً للشيعة، جعلوها مزارات، وبنو القباب عليها، وأحيوا عندها كثيرا من البدع، هذا بالإضافة إلى بناء الحوزات حول تلك الأضرحة، وشراء البيوت والأراضي المجاورة لها، لتكون تلك البقاع بعد ذلك شيعية صرفة.[1]

- ومن حيل الشيعة في نشر مذهبهم: الدعوة إلى التقارب المذهبي بين أهل السنة والشيعة.

هذه الدعوة في حقيقتها، تعني الاعتراف بالمذهب الشيعي وصحته، مما يمهد لقبول به، وجواز التمذهب به.

أما الاعتراض على معتقداتهم الفاسدة ، وتراثهم المليء بالمخازي فهذا عندهم شرخ يهدد وحدة المسلمين. ومن وسائلهم التوسعية أيضاً: الاهتمام بالمنح الدراسية، واستقطاب الألوف المؤلفة من الشباب المسلم من مختلف الأقطار للدراسة مجاناً في الحوزات العلمية في طهران وقم ومشهد وتبريز. وتتكفل الحكومة بتزويجهم أحياناً. وهدف هذه المنح هو تشييعهم في الدرجة الأولى، ومن ثم يعودون دعاة لنشر التشيع في بلدانهم، ثم لا تسل بعد ذلك عن وطنيتهم، وصدق ولائهم وانتمائهم لأوطانهم، فقد عُبؤوا سنوات عدة بأن كل الحكومات ظالمة وغير شرعية، لأنها غير ملتزمة بخط ولاية الفقيه، أو ما يعبر عنه بخط الإسلام المحمدي الأصيل

ومن وسائلهم أيضا: نشر الدعاة وبعث المعلمين لنشر التشيع، وبالأخص في المناطق النائية، والأماكن التي يُعتبر فيها المسلمون أقلية. وقد نشرت إحدى الصحف الأجنبية:أنَّ النظام الإيراني بعد سقوط الإتحاد السوفيتي قد أرسل مئات المدرسين إلى الجمهوريات التي استقلت، وتذكر هذه الصحيفة، أن هذه العملية قد كلفت الحكومة الإيرانية مليارات الدولارات.

(١) حصل هذا في سورية: في دمشق وداريا وبعض المناطق الأخرى منها.

ومن وسائلهم في نشر التشيع أيضاً:

الاستفادة من السفارات الإيرانية في كل الدول ، والتي أصبحت ملحقياتها الثقافية وزارات مصغرة للدعوة إلى التشيع، من خلال متابعة الموطنين الشيعة، وتبني قضاياهم، والدفاع عن حقوقهم، وتزويدهم بالإصدارات الدينية والسياسية الشيعية.

لذا لا تخلو سفارة من السفارات الإيرانية من وجود شيوخ معممين من الداعين والمتابعين لشأن التشيع.

أما دعوى تبني قضايا المسلمين العامة – مثل قضية فلسطين – واتخاذ المواقف المعادية لليهود والصهيونية، والسياسة الغربية ظاهرياً. فما هو إلا لتلميع صورتهم في العالم الإسلامي، وكسب تعاطف وود الشعوب المقهورة.(١)

ويدخل في هذا أيضا: احتفاء الشيعة ببعض الرموز السنية والتي وللأسف تتخذ موقفاً إيجابياً منهم، فينشر الإعلام الشيعي أقوالهم وفتاواهم، ويصفون في الإعلام الشيعي بأنهم رموز الوحدة والاعتدال. ويهدف الشيعة من هذا الإحتفاء أيضا إضعاف الموقف السني وتفكيكه من الداخل.(٢)

لقد ظهر الخطر الشيعي بصورة جلية تماما بعد زوال نظام صدام حسين في العراق، فقد غدت حرب أهل السنة بارزة للعيان، فكثير منهم قتلوا على الهوية ونكل الشيعة بمن كان اسمه أبو بكر أو عمر بصورة خاصة، وكثرت الإغتيالات المنظمة لعلمائهم ومفكريهم، واضطر بعضهم للإنصياع لعملية التهجير المبرمجة، وبخاصة من المناطق الهامة كبغداد وغيرها.

كما ظهر كيد الشيعة قبيل الثورة السورية من خلال عملية التشييع المنظمة، وبخاصة في قرى حوران ودير الزور.(٣) أما بعد اندلاع الثورة السورية عام: ٢٠١١م فجاءت جحافل الشيعة تقاتل جنباً إلى جنب مع جيش بشار الأسد وهذا لا تخفى حقيقته على أحد في هذه الأيام.(٤) كما مورست على أهل السنة في سورية ألوان من التدمير للمدن والقرى، مع استخدام أبشع وسائل التعذيب للمعتقلين المعارضين سواء أكانوا مقاتلين أو سلميين.

لا شك بأن هذا التمدد الشيعي الخطير ترك أثراً سيئاً جداً لدى شريحة من شباب أهل السنة عموماً، مما أسهم وبسرعة في

---

(١) فما شعار:(الموت لاسرائيل الموت لأمريكا) الذي رفعه الحوثيون في اليمن إلا للضحك على شعوبنا المغفلة التي تطرب لهذه الشعارات ولا تدري ما وراءها من كيد ومكر.

(٢) اقتباساً من مقال للأستاذ: (عبد الله المطرفي) بعنوان: (التمدد الشيعي) نشر في صفحة الإلكترونية ل: شبكة الدفاع عن السنة:
www.dd-sunnah.net

(٣) أول من أعلمني بهذا أستاذي الدكتور: وهبه الزحيلي رحمه الله عام: ٢٠٠٦م.

(٤) جاءت المليشيات الشيعية أولا من العراق وإيران، ثم تبعتها جنود حزب الله اللبناني. وانصب جل همهم على ابادة وتهجير أهل السنة في سوريه، وقد تم إلى الآن تهجير نصف سكان سوريه والمشتكى إلى الله وحده.

انضمام بعضهم لحركات متطرفة، وكان هذا رد فعل طبيعي للإضطهاد الذي مورس عليهم، لكنه لم يكن الرد السليم، فقد انطبق عليهم المثل العربي: المستجير بعمرو عند كربته... كالمستجير من الرمضاء بالنار.

ونظراً لعدم وجود العلم الشرعي السليم عند كثير من الشباب فقد تطور بسرعة عجيبة ليأخذ أشكالاً شاذة منكرة فنادى بعضهم بإنشاء خلافة إسلامية – وفق ما يوافق أهواءهم – واعتبروها ممثلة للأمة الإسلامية كلها، بل وصل بهم الأمر للحكم على من لا ينضوي تحت جناحهم بأنه مرتد عن ملة الإسلام مما يبيح قتله بل يوجبه أحياناً بحسب أهوائهم.!!

٤ – الحالة الإقتصادية المزرية:

نتيجة للفساد والمحسوبية السائدة في معظم أقطار العالم العربي فقد انعكس هذا بصورة مباشرة على الإقتصاد، ففشت البطالة حتى شملت بعض الفئآت المتعلمة من خريجي الجامعات.

يتحدث عن هذه الحقيقة المرة (شاكر النابلسي) فيقول: (عندما يتحدث علماء المستقبليات عن المستقبل العربي، يتعرضون دائماً إلى حجم البطالة المذهل ونسبتها العالية. وهي أعلى نسبة في العالم تقريباً كما قال تقرير التنمية البشرية للأمم المتحدة لعام ٢٠٠٩م. وتبلغ نسبة البطالة في العالم العربي من٪ ٢٥٪ – ٢٠. ولكن هذه النسبة تقريبية ومتواضعة جداً. والواقع أن لا إحصائيات دقيقة في العالم العربي، كما هو الحال في الغرب عامة. ويلفت نظرنا (كينيث بولاك) أحد الأخصائيين في "مركز بروكينغز" للدراسات والأبحاث، وأستاذ الشؤون الإستراتيجية في جامعة جورج تاون، إلى أننا يجب أن نأخذ بعين الاعتبار حجم الموظفين الإداريين في الدول العربية؛ أي حجم الحكومات المتضخم. ويشير بولاك إلى أن حجم الحكومة المصرية مثلاً، بلغ سبعة ملايين موظف. بينما يمكن لهذه الحكومة أن تدير البلاد بعدد أقل من هذا بكثير. وهذه الأعداد التي لا لزوم لها، تُضاف إلى نسبة البطالة، وهي نوع من "البطالة المُقنَّعة".

ولعل من البدهي القول بأن سبب ارتفاع أعداد الموظفين إنما يعود لسوء الإدارة وللفساد السائد، حيث تصبح الوظائف الحكومية وسيلة لشراء الولاء وأحياناً الذمم عندما يكون المنصب الوظيفي ذو مكانة خاصة.

وفي النتيجة فإن الشاب الذي أنفق من عمره سنين عديدة يعد نفسه علمياً أو مهنياً لعمل كريم أو مهنة شريفة يجد نفسه في نهاية الأمر يسعى طيلة نهاره – وربما جزءاً من الليل أيضاً– ليحصل على قوت يومه. وهذه البيئة تكون في العادة خصبة جداً لنمو الأفكار المتطرفة.) [١]

(١) في مقال له بموقع الإسلام اليوم بعنوان: (المصير العربي بين لغة الأرقام ولغو الكلام)

الجذور الفكرية للجماعات الإرهابية:

لا شك بأن الإنسان يقاد من فكره، فعدما لا تكون لديه حصانة فكرية يصبح نهباً للرياح. ومن هنا نجد أن رسول اللهﷺ منع المسلمين في البداية من زيارة القبور التي كانت تمارس فيها عادات جاهلية كي تتم تنقية العقل المسلم من بقاياها، فلما قوي إيمانهم واستقر في نفوسهم قال:(**كنت نهيتكم عن زيارة القبور فزوروها فانها تذكركم الموت.**) [١]

كما غضب لما رأى في يد (عمر بن الخطاب) رضي الله عنه صحيفة من التوراة. فقد ورد: (أن عمر – رضي الله عنه – أتى النبيَّﷺ بكتابٍ أصابه من بعض أهل الكتاب، فقرأه النبيﷺ فغضب، فقال: (**أمتهوكون – يعني أمتحيرون– فيها يا ابن الخطاب؟! والذي نفسي بيده، لقد جئتُكم بها بيضاءَ نقية، لا تسألوهم عن شيء فيخبروكم بحق فتكذِّبوا به، أو بباطل فتصدِّقوا به، والذي نفسي بيده لو أن موسىﷺ كان حيًّا ما وسعه إلا أن يتَّبعني**). [٢]

ونظراً لأن هذه الجماعات لم تحصن نفسها بالعقيدة السليمة والمفاهيم السديدة فكانوا عرضة لتبني أفكار منحرفة متطرفة، وبالتالي لممارسة تصرفات لا تتفق مع قيم الإسلام وتعاليمه.

ولا يتسع المجال هنا للإحاطة بموضوع الجذور الفكرية للجماعات الإرهابية بإسهاب لأنه متعدد الجوانب، لذا سأتناول بالبحث مسألة فقهية خطيرة ألا وهي: إستحلال دم المخالف، ولا شك بأنها جاءت كنتيجة طبيعية للأساس العقدي الذي انطلقوا منه وهو تكفير من يخالفهم. نعم سبقهم الخوارج في هذا ولكن من منطلقات أخرى. لذا أرى أن من الفائدة الرجوع لتاريخ هذه القضية قليلاً لنستقي منه مايمكّننا من فهم طبيعة هذا النوع من التفكير شديد الغرابة.

ولعلنا نستطيع الحصول على هذا الفهم من خلال الحقائق التاريخية التالية:

(١) بدأت قضية التكفير أو الردة بالظهور في صدر خلافة أبي بكر رضي الله عنه حين ارتد بعض العرب لأسباب متنوعة: فمنهم من ترك الإسلام جملة وتفصيلا فعادوا إلى الوثنية وعبادة الأصنام. (وهم قلة)ومنهم من ادعى النبوة وجمع حوله الأتباع. ومنهم من ظل معترفاً بالإسلام مقيماً للصلاة ولكنه امتنع عن أداء الزكاة، وقد تنبه الصديق رضي الله عنه لخطورة هذا الأمر فبادر بمعالجته بدون هواده. (عن أبي هريرة قال: لما توفي النبيﷺ واستُخلف أبو بكر بعده، وكفر من كفر من العرب، قال عمر بن الخطاب لأبى بكر: كيف تقاتل الناس وقد قال رسول الله ﷺ –: " **أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله، فمن قال لا إله إلا الله عصم مني ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله** " ؟ **فقال أبو بكر: والله**

(١) رواه مسلم ورواه الترمذي بلفظ: فانها تذكر الآخرة.

(٢) روى الإمام أحمد في المسند

لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة، فإن الزكاة حق المال، والله لو منعوني عناقا كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها، قال عمر: فوالله ما هو إلا رأيت أن الله شرح صدر أبي بكر للقتال، فعرفت أنه الحق.) [1]

استطاعت الدولة الإسلامية بقيادة أبي بكر رضي الله عنه ردهم إلى الإسلام، وحماية المجتمع الإسلامي من أول وأخطر فتنة واجهها لكونها أتت بعد وفاة المؤسس صلوات الله وسلامه عليه.

(٢) وبعد استشهاد الخليفة عثمان بن عفان – رضي الله عنه – وتولي علي بن أبي طالب رضي الله عنه للخلافة، ووقوع الخلاف بينه وبين معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه في توقيت الإقتصاص من قتلة عثمان رض الله عنه، ووصولهما إلى قضية التحكيم بعيد معركة صفين التي كان من نتائجها ظهور الخوارج الذين خالفوا علياً ومعاوية وخرجوا عليهما معاً. [2]

فقد رفض جنود علي من الخوارج التحكيم معتبرين أن معاوية كافر بخروجه عن طاعة الخليفة الشرعي وبهذا يجب قتله، واعتبروا التحكيم خروج عن حكم الله والاحتكام بحكم البشر – رغم أن بعض المؤرخين يؤكد على أن الخوارج هم من حثّوه على ذلك – فذهبوا لعلي يستتيبوه ويحثوه على قتال معاوية ونقض اتفاق التحكيم لكنه رفض، مما أدى إلى انسحاب الخوارج من جيش علي.

وأخيرا قاتل علي الخوارج وهزمهم في معركة النهروان (٣٩ هـ / ٦٥٩م)، حيث انسحبوا من جيشه ثم قاموا يقطعون الطرق ويسألون الناس حول ارائهم في الخلفاء الأربعة فيقتلون من يخالفهم في الرأي بشكل بشع.

كانت هذه هي البذرة الأولى للتكفير بين المسلمين، وكانت البلية الكبرى بقيام الخوارج بتكفير مرتكب الكبيرة أيضاً، وبذلك كفّروا كل من خالفهم سواء أكانوا من أتباع علي أو معاوية رضي الله عنهما. ثم نتج عن هذا نشوء فرق عدة مثل: المرجئة والقدرية والمعتزلة.

فالخلاف بدأ بوجهات نظر سياسية، ثم ما لبث أن انتهى بنشوء فرق مذهبية دينية لها منظروها وأتباعها. ولكن – بحمد الله – انحصرت هذه الفرق بمجموعات يسيرة، وبقيت الغالبية العظمى من المسلمين على الجادة القويمة والتي عرفت فيما بعد بأهل السنة والجماعة، وبذلك عصم الله سبحانه هذه الأمة من التشرذم والضياع فهي لا تجتمع على ضلالة.

(٣) خمد هذا الخلاف مع مرور الوقت، ولكن حركة الشيعة استمرت تعلو تارة وتخبو تارة، إضافة لبعض الحركات الباطنية

---

(١) متفق عليه.

(٢) عرف ابن حزم الخوارج في كتابه: (الفصل في الملل والنحل والأهواء) [٢/ ١١٣] بقوله: "ومن وافق الخوارج من إنكار التحكيم وتكفير أصحاب الكبائر، والقول بالخروج على أئمة الجور وأن أصحاب الكبائر مخلَّدون في النار، فهو خارجي.

التي لم تجد لها سوى القلة من الأنصار مما جعل أتباعها يتقوقعون على أنفسهم إلا بحبل من الناس.[١]

(٤) عاد الفكر الخارجي مرة أخرى في أواسط القرن العشرين للظهور مع تزايد قمع السلطة لأصحاب الإتجاه الإسلامي كما ذكرت.

أسباب عودة التكفير في عصرنا الحاضر:

أما عودة التكفير في عصرنا الحاضر، فأوجز أسبابه بما يلي:

أولها: الاضطهاد السياسي. **ثانيها**: فقدان الثقة بالعلماء الرسميين. **ثالثها**: محاولة أخذ الأحكام من القرآن مباشرة مع عدم التمكن من العلوم الشرعية المؤهلة لهذه المهمة الصعبة. إضافة لعدم الإهتمام بالسنة النبوية القولية والعملية والتي هي في معظمها شارحة للقرآن. **رابعها**: الخلط بين الكفر الأصغر، والكفر الأكبر، سواء كان كفر الاعتقاد أو كفر الأعمال. **خامسها**: التعلق ببعض النصوص الصادرة عن مفكرين إسلاميين، وتفسيرها وفق ماتشتهيه أنفسهم.[٢]

ولا بد من الإشارة هنا إلى أن محاولة أخذ الأحكام من القرآن مباشرة مقبولة إذا كانت صادرة عن القرون الأولى أو في عهد الصحابة، لأن الصحابة رضي الله استطاعوا ذلك بفطرتهم السليمة، وبفهمهم للغة العربية، وبمعرفتهم بأسباب النزول، وبمعايشتهم للوقائع التي نزلت فيها الآيات، والأحداث التي صدرت من خلالها السنة النبوية. وبهذا ندرك مدى تجاسر هؤلاء الشباب حين يدعون القدرة على الأخذ من هذه النصوص مباشة مع عدم حيازتهم للوسائل اللازمة لهذه المهمة الصعبة.

كما أن من المفيد هنا أن ألقي الضوء على مسألة الفارق بين كفر الإعتقاد وكفر الأعمال لأن بعض المشتغلين بالدعوة يخلط بينهما.

فإذا أطلق الكفر العملي فيُراد به عند المتأخرين من أهل العلم: الكفر الأصغر، مثل تهاون بعض المسلمين في أداء بعض

(١) من هذه الحركات الباطنية: النصيرية التي تؤله علياً رضي الله عنه، والتي يتبناها الرئيس السوري الحالي الذي ينكل بالشعب السوري الآن، وكذلك الإسماعيلية، والبهائية.

(٢) من هؤلاء المفكرين: أبو الأعلى المودودي وسيد قطب رحمهما الله. وقد فسر هؤلاء الشباب المتشددون بعض عباراتهم تفسيراً خاطأ وبخاصة مفهوم الجاهلية، فعندما وصف (سيد قطب)رحمه الله المجتمع الحاضر بالجاهلية لم يقصد تكفيره، وإنما التأكيد على بعده عن منهج الله سبحانه في الجملة قاصداً تنبيه المسلمين وزجرهم ليتوبوا عما هم فيه من بعد عن ممارسة الإسلام في واقع حياتهم. عن المعرور بن سويد قال: رأيتُ أبا ذرٍّ وعليه حُلَّةٌ وعلى غلامه مثلُها. فسألتُه عن ذلك ؟ قال: فذكر أنه سابَّ رجلًا على عهد رسولِ اللهﷺ. فعيَّرَه بأمِّه. قال: فأتى الرجلُ النبيَّ ﷺ. فذكر ذلك له. فقال النبيُّ ﷺ (إنك امرؤٌ فيك جاهليةٌ. إخوانُكم وخولُكُم. جعلهم اللهُ تحت أيديكم. فمن كان أخوهَ تحت يدَيه فلْيطعِمْه مما يأكل. وليلبسْه مما يلبس. ولا تكلِّفوهم ما يغلبهم. فإن كلَّفتموهم فأَعينوهم عليه)أخرجه مسلم في صحيحه.

فهل يمكن لعاقل أن يقول بأن أبا ذر قد كفر بما وصفه به رسول اللهﷺ؟! وقد أكّد أخوه محمد قطب رحمه الله تبرئته له من هذه الفرية أكثر من مرة وهو أعلم الناس بأخيه.

العبادات لا جحوداً لها بل تهاوناً وتقصيراً. وغالباً ما يُطلق في مقابل الكفر الاعتقادي، والذي يُراد به الكفر الأكبر، وهو الذي يجحد صاحبه معلوماً من الدين بالضرورة، كإنكاره لأحد شعب الإيمان الستة، أو لركن من أركان الإسلام الخمسة.

ولكن الأمر لم يكن كذلك في اصطلاح السلف والمتقدمين من العلماء. وهذا واضح من كلام العلامة ابن القيم رحمه الله حين قال:

(فصل في نوعي الكفر: وها هنا أصل آخر وهو أن الكفر نوعان كفر عمل وكفر جحود وعناد. الجحود أن يكفر بما علم أن الرسول جاء به من عند الله جحودا وعنادا من اسماء الرب وصفاته وأفعاله وأحكامه وهذا الكفر يضاد الإيمان من كل وجه، وأما كفر العمل فينقسم إلى ما يضاد الإيمان وإلى ما لا يضاده فالسجود للصنم، والاستهانة بالمصحف، وقتل النبي وسبه يضاد الإيمان. وأما الحكم بغير ما أنزل الله، وترك الصلاة فهو من الكفر العملي قطعا ولا يمكن أن ينفي عنه اسم الكفر بعد أن اطلقه الله ورسوله عليه. فالحاكم بغير ما انزل الله كافر، وتارك الصلاة كافر بنص رسول الله، ولكن هو كفر عمل لا كفر اعتقاد، ومن الممتنع أن يسمي الله سبحانه الحاكم بغير ما انزل الله كافرا ويسمى رسول الله تارك الصلاة كافرا ولا يُطلق عليهما اسم كافر. وقد نفى رسول الله الإيمان عن الزاني والسارق وشارب الخمر وعمن لا يأمن جاره بوائقه. وإذا نفي عنه اسم الإيمان فهو كافر من جهة العمل وانتفى عنه كفر الجحود والاعتقاد، وكذلك قوله: (لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض.) [(١)] فهذا كفر عمل. وكذلك قوله:(من أتى كاهنا فصدقه أو امرأة في دبرها فقد كفر بما أنزل على محمد.) [(٢)] وقوله: (إذا قال الرجل لأخيه يا كافر فقد باء بها احدهما.) [(٣)]

وقد سمى الله سبحانه وتعالى من عمل ببعض كتابه وترك العمل ببعضه مؤمنا بما عمل به وكافرا بما ترك العمل به فقال تعالى (وإذا اخذنا ميثاقكم لا تسفكون دماءكم ولا تخرجون أنفسكم من دياركم ثم أقررتم وأنتم تشهدون ثم أنتم هؤلاء تقتلون أنفسكم وتخرجون فريقا منكم من ديارهم تظاهرون عليهم بالإثم والعدوان وإن يأتوكم أسرى تفادوهم وهو محرم عليكم إخراجهم افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم إلا خزي في الحيواة الدنيا ويوم القيامة يردون إلى أشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون)[(٤)] فاخبر سبحانه أنهم أقروا بميثاقه الذي أمرهم به والتزموه به. وهذا يدل على تصديقهم به أنهم لا يقتل بعضهم بعضا ولا يخرج بعضهم بعضا من ديارهم، ثم أخبر أنهم عصوا امره وقتل

(١) رواه البخاري رقم ١٧٣٩ ومسلم رقم ١٦٧٩

(٢) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢/ ٤٠٨ والترمذي رقم ١٣٥ وأبو داود رقم ٣٩٠٤ وابن ماجة رقم ٦٣٩

(٣) رواه البخاري رقم ٦١٠٣ ومسلم رقم ٦٠

(٤) سورة البقرة: الآيتان ٨٤ و ٨٥

فريق منهم فريقا وأخرجوهم من ديارهم فهذا كفرهم بما أخذ عليهم في الكتاب. ثم أخبر انهم يفدون من اسر من ذلك الفريق وهذا إيمان منهم بماأخذ عليهم في الكتاب فكانوا مؤمنين بما عملوا به من الميثاق كافرين بما تركوه منه فالإيمان العملي يضاده الكفر العملي والإيمان الاعتقادي يضاده الكفر الاعتقادي.) [١]

وأخيراً يجدر التنبيه إلى أن اصطلاح: "الكفر العملي و الكفر الاعتقادي" مما استعمله المتأخرون، وقد خرج مخرج الغالب وفيه نظر، فليس كل عمل كفري يكون من قبيل الكفر الأصغر، فربما كان من الكفر الأكبر كالسجود للصنم. وليس كل كفر أصغر يكون من قبيل العمل. كما أنه ليس كل اعتقاد فاسد يكون من قبيل الكفر الأكبر. ولكن تقسيم الكفر الى (عملي وآخر اعتقادي) إنما هو مجرد مصطلح محدث استعمله المتأخرون كما أشرت آنفاً، ولم يرد عن السلف من الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم، وإنما الذي ورد عنهم في وصف الكفر الأصغر بأنه: "كفر لا ينقل عن الملة"، أو أنه "كفر دون كفر" وهو الذي أورده البخاري في كتاب: الإيمان من صحيحه.

ومن الأمثلة الواضحة في زماننا المسارعة في التكفير لمن يقوم ببعض الأعمال البدعية المتوارثة مثل التمسح بالقبور أو دعاء الله عندها متوسلين بأصحاب هذه القبور. والحقيقة أن هؤلاء إنما يفعلون هذا من باب الجهل والتقليد الأعمى لمن سبقهم لا لإعتقادهم بأن أهل هذه القبور ينفعونهم حقاً، ولا شك بأن سبب استمرار هذا السلوك البدعي هو تقصير العلماء في الإنكار عليهم. ولو قيد لهم من يعلمهم ويوجههم لتوقفوا وتابوا إلى الله سبحانه. وما نراه اليوم من الإنكار عليهم باليد – وربما وصل للقتل – إنما هو فتنة عمياء نسأله سبحانه أن لا يجعل لنا فيها سهماً ولا نصيباً. [٢]

فهذا السلوك الإجرامي من هؤلاء المدعين لإنكار المنكر أدى – مع الأسف – لخوف كثير من جماهير المسلمين من المتدينين ودعاة الإصلاح بصورة عامة ولا حول ولا قوة إلا بالله. كما أسهم في عرقلة الجهود الدعوية التي يقوم بها الدعاة في أوروبا وأمريكا مع شديد الأسف.

من هو المسؤول شرعاً عن تطبيق أحكام الإسلام ؟ ومتى يتم ذلك؟

إنتشر – مع الأسف – مفهوم خاطئ وهو أن تطبيق الشريعة معناها إقامة الحدود، وما هذا إلا بسبب الغزو الفكري الذي صعد نجمه حتى أحاط بالعقل المسلم من كل جانب. ولكن الحقيقة أن هذا يعتبر من مهام ولي الأمر الشرعي الذي انعقدت له الولاية الشرعية على رقاب المسلمين

(١) أنظر كتاب: (الصلاة و حكم تاركها و سياق صلاة النبي صلى الله عليه و سلم من حين كان يكبر إلى أن يفرغ منها) للإمام شمس الدين محمد بن أبي بكر بن قيم الجوزية ص: ٣٢ و٣٣ طبعة مكتبة الإيمان. المنصورة. أمام جامعة الأزهر.

(٢) حصل هذا مع شديد الأسف في العراق ثم في سورية على يد أتباع مايسمى بالدولة الإسلامية في العراق والشام.

وهنا يطرح السؤال التالي: هل من حق جماعة ما – كتنظيم ما يسمى بالدولة الإسلامية الآنف الذكر – أن تدعي الولاية على المسلمين فتنفرد بالتركيز على جانب واحد من جوانب الشريعة وهو تنفيذ الحدود الشرعية بقرار من عندها وبالطريقة التي تراها؟! أم أن لهذا شروطاً وقيوداً محددة؟

إن ما يقومون يعتبر ولاية على المسلمين. ومعقد الولاية في الإسلام لا يمكن أن يعطى لكل من يدعيها أو يمارسها على هواه بدون قيد أو ضابط، وإنما يعود عقد الولاية لأهل الحل والعقد كما قرره علماؤنا عبر العصور. وهذا مرده الأساس قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنكُمۡۖ فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ وَأَحۡسَنُ تَأۡوِيلًا ﴾[1] وأولو الأمر هم عنصر من عناصر أهل الحل والعقد كما هو معلوم. ورغم إختلاف الفقهاء في تحديد من يدخل تحت مسمى أهل الحل والعقد ولكن الفروق فيما بينهم طفيفة.

فذهب بعضهم إلى أنهم يشملون العلماء والرؤساء ووجوه الناس [2] وذهب آخرون إلى أنهم العلماء ووجوه الناس [3] وقد وصل الإمام: (حسن البنا) رحمه الله الى رأي قريب من هذين الرأيين استخلاصاً من مطالعاته في أقوال الفقهاء وآرائهم فيمن ينضوي تحت مسمى أهل الحل والعقد، فرأى أن هذا الوصف ينطبق على ثلاث فئات هي:

الفقهاء المجتهدون الذين يعتمد على أقوالهم في الفتيا واستنباط الأحكام، وأهل الخبرة في الشؤون العامة، وأخيراً من لهم نوع قيادة أو رئاسة في الناس كزعماء البيوت والأسر وشيوخ القبائل ورؤساء المجموعات.[4]

جاء في فتاوى اللجنة الدائمة للإفتاء بالمملكة العربية السعودية: (ولا يقيم الحدود إلا الحاكم المسلم أو من يقوم مقام الحاكم، ولا يجوز لأفراد المسلمين أن يقيموا الحدود لما يلزم على ذلك من الفوضى والفتنة.)

وجاء في الموسوعة الفقهية: (اتفق الفقهاء على أنه لا يقيم الحد إلا الإمام أو نائبه، وذلك لمصلحة العباد، وهي صيانة أنفسهم وأموالهم وأعراضهم، والإمام قادر على الإقامة لشوكته ومنعته، وانقياد الرعية له قهرا وجبرا، كما أن تهمة الميل والمحاباة والتواني عن الإقامة منتفية في حقه، فيقيمها على وجهه فيحصل الغرض المشروع بيقين، ولأن النبيﷺ كان يقيم الحدود، وكذا خلفاؤه من بعده. اهـ)

(١) سورة النساء: ٥٩

(٢) نص عليه الإمام النووي في منهاج الطالبين: ١/ ١٢١ و العلامة: محمد الزهري الغمراوي الشافعي في كتابه: السراج الوهاج: ١/ ٥١٨

(٣) ذكره الشيخ إبراهيم بن محمد بن عبد الله بن مفلح الحنبلي أبو اسحق في كتابه: (المبدع)

(٤) مجموعة رسائل الإمام البنا. رسالة (مشكلاتنا في ضوء النظام الإسلامي) ص:٣٢٨

أما في حال عدم وجود من يقوم بتطبيق أحكام الشريعة أصلاً – كما هو الحال في غالبية دولنا الإسلامية – فإن على الدعاة الى الله أولاً بذل المزيد من الجهود لإقناع جماهير المسلمين بضرورة هذا شرعاً مع بيان الحكم والفوائد الجليلة لتطبيقه نظراً لتأثرهم بالغزو الفكري الذي شوه صورة الحكم الإسلامي. وبعد أن يتم هذا يقوم الجميع دعاة وجماهيراً بمطالبة حكامهم سلمياً بتحكيم الشريعة. مستخدمين جميع الوسائل الإعلامية المتاحة على اختلاف أنواعها مع إخلاص النية لله. ورغم أن هذا طريق طويل وشاق – كما هو معروف – ولكن ما من سبيل سواه في هذا العصر. وبهذا يأتي تطبيق الشريعة بالتدريج ومن خلال جماهير المسلمين نفسها التي تتبنى هذا بعد حصولها على الفهم والإقتناع لا بطريق القهر والإكراه.

وبهذا نعلم أن ماقام به – ولا يزال – مايسمى بتنظيم الدولة إنما هو مجرد استخدام للقوة العسكرية لإخضاع المسلمين لأسلوبهم من غير أن تنعقد الولاية لهم، وهذ أمر مرفوض، خاصة وأنه قد ثبت أنهم ليسوا أهلا لهذه المهمة لما ينقصهم من علم شرعي، وتقوى تحجزهم عن محارم الله.

لمحة تاريخية مختصرة حول أسباب نشوء مايسمى بتنظيم الدولة الإسلامية بالشام والعراق:

أرى أنه لا بد من وقفة عاجلة مع أسباب نشوء هذا التنظيم لما تركه من آثار سيئة في عقول وسلوك بعض الشباب والشابات الذين تأثروا به، فنحن نرى خطورته تزداد يوماً بعد يوم والمشتكى إلى الله.

وعودة لأسباب نشوء ظاهرة التكفير في العصر الحاضر أقول: لئن أوجد التعذيب للإسلاميين في سجون مصر مبرراً مقبولاً عند من عانوه ليكفّروا القائمين على ذلك النظام، فإن ما حدث ـ وما يزال ـ في العراق ثم في سورية من إبادة وتعذيب وتطهير طائفي لأهل السنة في كلا البلدين هو أعظم بمئآت المرات.

فقد كان في الغزو الأمريكي للعراق الشرارة الأولى لايجاد المبرر لوجود نزعة التكفير. إذ مكّن للشيعة العراقيين الحاقدين من الإنتقام من أهل السنة إنتقاماً شنيعاً فريداً. إذ لم يتركوا وسيلة لاستئصالهم إلا اتبعوها، فمن التعذيب في السجون، إلى حفلات الإعدام الجماعي التي تأخذ طابعاً رسمياً من خلال المحاكمات الصورية لشباب هم في عمر الزهور بحجة قانون جائر سموه قانون مكافحة الإرهاب الذي أقرّ عام: ٢٠٠٥ م كما استغلوا الممارسات السيئة لحزب البعث السابق فسنوا قانوناً أسموه: (قانون الهيئة الوطنية العليا للمساءلة والعدالة) وذلك عام: ٢٠٠٨م بهدف القضاء على كل من كان اسمه مسجلاً بحزب البعث وقد نالوا من خلاله من كثير من أهل السنة ممن اضطروا للإنضمام للحزب لكسب قوت يومهم، ورعاية أسرهم مالياً أيام النظام السابق.

كانت هذه هي الأرضية الخصبة لنشوء تنظيم الدولة في العراق، وربما استُغل هذا الوضع من قبل بعض الفئآت المشبوهة

– وربما لهم علاقة مع بعض الحكومات – لإيجاد تنظيم يرفع شعاراً إسلامياً، ولكنه بسلوكه الشنيع ينفر من الإسلام وأهله. وتكرر المشهد بعد قيام الثورة السورية وبطريقة أشنع، إذ قام النظام السوري بمذابح شنيعة بكل ما يملكه أدوات التدمير لإبادة أهل السنة في عملية مبرمجة دؤوبة لتغيير الطبيعة السكانية ليصبح الشيعة والنصيريون أكثر من أهل السنة، وتم هذا تحت مسمى مكافحة العصابات الإرهابية، رغم أن هذه الثورة إنطلقت لرد الكرامة المهدرة، وللمطالبة بشيء من الحقوق والحريات المسلوبة. [1] ولكن النظام واجهها بوحشية فظيعة لا تمت للإنسانية بصلة، مما تسبب في ردة فعل عنيفة عند الشباب المسلم داخل سورية وخارجها، فهذه الممارسات ذكرتهم بما حدث للمسلمين في البوسنة والهرسك من إبادة على أيدي الصرب الحاقدين. واستغل تنظيم الدولة هذا المشهد لينقل جهوده لداخل سوريه، وقام بعد هذا بتغيير اسمه ليشمل العراق والشام. وبهذا ازداد المشهد تعقيداً حيث استغل النظام السوري هذا الوضع الجديد ليبرر أعماله الوحشية مدعياً محاربة الإرهاب.

(١) للتوسع أنظر مقال المؤلف حول هذا الموضوع بعنوان: (القصة الحقيقة للثورة السورية). ونشر في صحيفة شبكة الأمة برس الإخبارية بتاريخ: ٢٠١٢-١٠-١٧ م بمدينة ديترويت بولاية متشغن.

المبحث الثاني

الهجوم على أهل السنة والجماعة وأثره في تأجيج نار الإرهاب

لم تكن هناك مشكلة حقيقية بين أهل السنة والشيعة قبل قيام الثورة الإيرانية على يد الخميني عام: ١٩٧٩م. فقد كان الشيعة يعيشون بين ظهراني أهل السنة في بلاد المشرق عموماً بدون مشكلات. فأهل السنة والجماعة متسامحون بطبعهم مع غيرهم من الفرق المخالفة، ولا يسعون للإعتداء على أحد ممن يخالفهم بأي وجه من الوجوه. وهذا معروف من خلال تاريخهم الطويل. ولكن الثورة الإيرانية المذكورة قررت ماسموه بتصدير الثورة (ومعناها نشر المذهب الشيعي بالقوة)مما أعطى الحركة الشيعية زخماً كبيراً، كما زودهم بروح التحدي والتطاول والإستعلاء على الآخرين. ولعلي من خلال النقاط التالية أستعرض حقيقة هذه الثورة، وغياب وعي أكثر المسلمين عن أبعادها الخطيرة:

الأهداف الحقيقية لثورة الخميني:

إدعى القائمون على الثورة في بدايتها بأنها ثورة شعبية قامت في وجه الظلم لنيل حقوق الشعب واسترداد كرامته (ويسمونها كذباً ثورة المظلومين)، والتخلص من التبعية للغرب وبخاصة أمريكا، والوقوف في وجه العدوان الصهيوني وتأييد من يقاومه، والقضاء على العلمانية. وزيادة الحرية السياسية والمساواة الاقتصادية والاكتفاء الذاتي وتثقيف الجماهير، والنزاهة والفعالية والكفاءة في إدارة الحكومة.

ولكن الذي ظهر للعيان بعد مرور بضع سنوات أن الأهداف المعلنة كانت مجرد لافتات لكسب تأييد الجماهير. والحقيقة أنها حركة أيدولوجية ذات أبعاد عقائدية وتاريخية بعيدة الغور تهدف فيما تهدف إلى إعادة أمجاد الدولة الصفوية باجتياح مشرق العالم الإسلامي فكرياً ومن ثم عسكرياً. وهذا واضح الآن في تدخلهم العسكري السافر في كل من العراق وسوريه واليمن، وتدخلهم عبر صنيعتهم في لبنان وهو مايسمى بحزب الله حيث صادروا الدولة منذ عدة سنوات.

وما أشبه هذه الحركة بالحركة الصفوية فكأن التاريخ يعيد نفسه، فقد ظلت إيران ما يقرب من تسعة قرون من الزمان تتبع مذهب أهل السنة والجماعة، فكانت الصبغة السنية ظاهرة فيها، وواضحة في جميع ألوان نشاطها، فقد ساهمت إيران في بناء صرح الحضارة الإسلامية البناءة حيث كانت الصبغة السنية غالبة على جميع أوجه النشاط فيها، فقد برز فيها كثير من العلماء في مختلف العلوم والفنون، وأسهم المجاهدون الإيرانيون مع إخوانهم من بقية البلدان في نشر الإسلام في ربوع آسيا، فأوصلوا نور الإسلام إلى شعوب التركستان وآسيا الصغرى والهند والشرق الأقصى، حتى وصل المسلمون إلى حدود الصين.

غير أن بعض القبائل التركية الساكنة في منطقة أذربيجان بعد سقوط الخلافة العباسية اعتنقت المذهب الشيعي الإمامي، وجنحت إلى التصوف، وكونت لها دولة في بعض أجزاء إيران، فكانت هذه الدولة أول دولة شيعية إمامية تقوم بصفة رسمية، وتبسط فيما بعد نفوذها على سائر الأراضي الإيرانية، ويعتبر عام ٩٠٦ هـ بداية حقيقية لقيام الدولة الصفوية الشيعية، فقد جلس: (إسماعيل الصفوي)على العرش في مدينة تبريز، واتخذ لقب الشاه أي الملك كما اتخذ هذه المدينة عاصمة لدولة الصفويين الشيعية.

وكان أول عمل قام به هو إعلان المذهب الشيعي الإمامي مذهباً رسمياً للدولة الصفوية في عام ٩٠٧ هـ لعموم إيران، وقام بأعمال شنيعة من قتل وتذبيح – حتى داخل المساجد– مما يعجز المرء عن وصفه من أجل تنفيذ هذه الرغبة، ومن أسوأ ما قام به في أثناء حكمه أن أرسل مجموعة من المشاغبين ليتجولوا بين الأحياء والأزقة، ويقوموا بشتم الخلفاء الراشدين عدا علي رضي الله عنهم جميعاً، وعندها يطلب من كل سامع لهم أن يردد العبارة التالية: (زد ولا تنقص)أما الذي يمتنع عن ذلك، فجزاؤه التقطيع بما يملكون من سيوف وحراب، ولم يكن أمام أهل السنة والجماعة سوى النجاة بدينهم وحياتهم هاربين، أو قبول مذهب التشيع مكرهين. وأدت أفعال الشاه إسماعيل هذه إلى غضب السلطان العثماني سليم الأول فقامت الحرب بين الدولة العثمانية والدولة الصفوية، وفي النهاية تمكن السلطان سليم الأول من فتح مدينة تبريز، ولكنه بعد أن خرج منها سقطت مرة أخرى بأيدي الصفويين الذين قاموا على الفور بارتكاب مجازر جماعية مروعة اقتلعت أهل السنة من تلك المدينة تماماً، حيث أنه قتل في يوم واحد أكثر من عشرين ألفاً من أهلها، وهم جميعاً من أهل السنة والجماعة. ثم غزا الزحف الصفوي المناطق الإيرانية بعد هذا فسقطت المدن واحدة تلو الأخرى، وكانوا يرغمون الناس على الدخول في التشيع، ويقتلون من يرفض هذا، حتى قتلو الكثير منهم، وبذلك اننشر المذهب الصفوي بالقوة والإكراه، ومع هذا حافظ بعض أهل السنة على دينهم ومعتقداتهم الصحيحة إلى يومنا هذا والحمد لله.[١]

شبهات الشيعة الإمامية ضد السنة:

(١) أن الخلافة والإمامة – بعد وفاة الرسول محمدﷺ – ميراث أدبى لعلي بن أبى طالب رضي الله عنه وآل بيته من بعده. بل يعتقدون أنها منصوص عليها في القرآن والسنة، وهذا من آثار الفكر الفارسي الذي بني على مفهوم حكم الشاة الملكي، وأن الإبن الأكبر للشاء يلي الحكم من بعده. ولا وجود لهذ النظام في الإسلام.

(١) أنظر كتاب: تاريخ الدولة الإسلامية من مقررات جامعة مشكاه الإسلامية بأمريكا ص:٢٧١ فما بعدها، ومقال بعنوان (دولة الصفويين.. تاريخ من العمالة والقتل) للكاتب: عمر خليفة. وهو منشور بمجلة الفرقان الإلكترونية على صفحتها http://www.al-forqan.net/files/415.html وانظر كتاب: (وجاء دور المجوس)لمؤلفه عبد الله الغريب ص: ٨٠ – ٨٢

(٢) أن كل خليفة يجب أن يوصى لمن يخلفه. ولا يوجد دليل في شريعة الإسلام على هذا. فالنبيﷺ لم يوص، والأدلة التي يسوقها الشيعة على هذا متهافتة لا تقوى على النهوض. وليس من مجالي هنا الإسهاب في دحضها.

(٣) أن من يوصَى له بالخلافة معصوم من الخطأ. ونحن نعلم من ديننا أنه لا عصمة إلا لنبي. فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ -رَضِيَ اللهُ عَنْهُ – قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِﷺ: (**كُلُّ بَنِي آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ**.) [١]

(٤) أن الشيعة رفعوا منزلة الامام علي بن أبى طالب رضي الله عنه بحيث تأتي مباشرة بعد منزلة الرسول محمدﷺ. ونحن نعلم أن هناك أحاديث عديدة في فضائل الصحابة لا تقتصر على علي رضي الله عنه، ومن ذلك العشرة المبشرين بالجنة – ومنهم علي– رضي الله عنهم جميعاً.

(٥) أن عليا – ومن يخلفه من آل بيته – أُوتوا علم الظاهر والباطن. ونحن نعلم من القرآن الكريم أنه لا يعلم الغيب – ومنه الباطن– إلا الله. قال تعالى: (قل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا اللهُ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ.) [٢]

أما خطتهم للمضي قدما فيما رسموه من أهداف فتتلخص في الغزو الفكري أولا، ثم التشييع الفعلي، ثم التمدد الجغرافي لتحقيق التغيير الديموغرافي. [٣] وبهذ تتوسع إيران تدريجياً في خطة خبيثة تهدف لإعادة أمجاد الإمبراطورية الفارسية التي يحلمون بها !!من هنا كان لا بد أن يعيدوا طرح جميع الشبهات التي أثارها الشيعة عبر التاريخ مستفيدين من هذا التراث الثقافي، ولكن تم طرحه – ولا يزال– بأساليب مختلفة وبوسائل إعلامية عصرية مناسبة وعلى رأسها القنوات الفضائية. [٤]

(١) رواه الترمذي وصححه.

(٢) سورة النمل: الآية ٦٥

(٣) جاء في موسوعة ويكيبيديا الحرة: علم الديمغرافيا هو: فرع من علم الاجتماع والجغرافيا البشرية، يقوم على دراسة علمية لخصائص السكان المتمثلة في الحجم والتوزيع والكثافة والتركيب والأعراق ومكونات النمو (الإنجاب والوفيات والهجرة) – ونسب الأمراض، والحالات الاقتصادية والاجتماعية، ونسب الأعمار والجنس، ومستوى الدخل، وغير ذلك في إحدى المناطق.

(٤) تم رصد ٩١ قناة شيعية الاغلبية المطلقة منها دينية دعوية توجيهية تبث من القمرالعربي عرب سات والمصري نايل سات دون ادنى اعترضا شعبي او حكومي. القنوات الشيعة تغطي تقريبا معظم دول العالم من اقصى الشرق مرورا بمنطقة الهند وباكستان حتى الأمريكيتين بما فيها افريقيا. تبث قنوات الشيعة بأشهر اللغات واسعة الانتشار: العربية، الإنجليزية،الفارسية،التركية، الأردية، السواحيلية وغيرها

معظم قنوات الشيعة قنوات دينية تنشر التشيع وتدافع عنه، لكن هناك قنوات إخبارية واجتماعية ودراما :قناة الأفلام:Ifilm

المبحث الثالث

الفتاوى الشاذة التي يعتمد عليها الإرهابيون عموماً والرد عليها

دفعت الممارسات العدوانية للشيعة في عصرنا هذا من استحلال لدماء أهل السنة في العراق ثم في سوريه بناء على فتاوى من بعض علمائهم بتكفير من يسمونهم بالنواصب - ويعنون بهم أهل السنة والجماعة - بعض الجماعات المتطرفة من أهل السنة إلى تكفيرهم ومشروعية قتالهم أيضاً، بل تطور الأمر ليستحلوا دم كل من يخالفهم سواء أكانوا سنة أم شيعة. واستندوا في هذا أيضاً الى فتاوى شاذة استطاعوا من خلالها إقناع بعض الشباب من بلاد مختلفة بحمل السلاح وقتال من يخالفهم، وبذلك عظمت الفتنة وادلهم الخطب.

فتاوى استحلال دماء أهل السنة:

نجد معظم كتب الشيعة قديمها وحديثها تحط من قدر أهل السنة، بل إن بعضها لا تجعل لدمائهم وأموالهم حرمة. فمن الأمثلة على النوع الأول نجد شيخهم (محمد بن علي بن بابويه القمي)والملقب عندهم بالصدوق وبرئيس المحدثين يروي: (عن داود بن فرقد قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام: ما تقول في قتل الناصب -أي السني- ؟ قال: "حلال الدم، ولكني أتقي عليك، فإن قدرت أن تقلب عليه حائطًا أو تغرقه في ماء لكيلا يشهد به عليك فافعل، قلت فما ترى في ماله؟ قال: توه ما قدرت عليه.) [١] أما فيما يتعلق بإباحة أموال أهل السنة فيروي محدثو الشيعة وشيوخهم عن (أبي عبد الله الحسين)رضي الله عنه أنه قال: (خذ مال الناصب حيث ما وجدته وادفع إلينا الخمس.) [٢] وبمضمون هذا الخبر أفتى مرجعهم الكبير الذي يسمونه (روح الله الخميني) بقوله: (والأقوى إلحاق النواصب بأهل الحرب في إباحة ما أُغْتُنِم منهم وتعلق الخمس به، بل الظاهر جواز أخذ ماله أين وجد وبأي نحو كان ووجوب إخراج خمسه.)[٣]

وهاهو الخميني أيضاً يبيح غيبة أهل السنة وهتكهم والوقيعة بهم فيقول:

(كرواية عبد الله بن سنان قال: قال أبو عبد الله عليه السلام(وهو الحسين رضي الله عنه): الغيبة أن تقول في أخيك ما قد

(١) في كتابه المسمى:(علل الشرئع) ص٦٠١ طبعة النجف

(٢) أخرج هذه الرواية شيخ طائفتهم أبو جعفر الطوسي في كتابه: (تهذيب الأحكام) ٤/ ١٢٢

والفيض الكاشاني في كتابه: الوافي: ٦/ ٤٣ ط دار الكتب الإسلامية بطهران، ونقل هذا الخبر شيخهم الدرازي البحراني في (المحاسن النفسانية) (ص١٦٧)، ووصفه بأنه مستفيض.

(٣) في كتابه: تحرير الوسيلة ١/ ٣٥٢

ستره الله عليه، وغيرهما مما فسرت الغيبة حاكمة على سائر الروايات، فإنها في مقام تفسيرها اعتبرت الأخوة فيها، فغيرنا ليسوا بإخواننا وإن كانوا مسلمين فتكون تلك الروايات مفسرة للمسلم المأخوذ في سائرها، بأن حرمة الغيبة مخصوصة بمسلم له أخوة إسلامية إيمانية مع الآخر، ومنه يظهر الكلام في رواية المناهي وغيرها.

والانصاف أن الناظر في الروايات لا ينبغي أن يرتاب في قصورها عن اثبات حرمة غيبتهم، بل لا ينبغي أن يرتاب في أن الظاهر من مجموعها اختصاصها بغيبة المؤمن الموالي لأئمة الحق (ع) (ويقصد بهم الشيعة فقط) مضافا إلى أنه لو سلم اطلاق بعضها وغض النظر عن تحكيم الروايات التي في مقام التحديد عليها فلا شبهة في عدم احترامهم بل هو من ضروري المذهب كما قال المحققون، بل الناظر في الأخبار الكثيرة في الأبواب المتفرقة لا يرتاب في جواز هتكهم والوقيعة فيهم، بل الأئمة المعصومون، أكثروا في الطعن واللعن عليهم وذكر مسائيهم.) [١]

ثم أورد الخميني هذه الرواية: (فعن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: إن بعض أصحابنا يفترون ويقذفون من خالفهم فقال الكف عنهم أجمل، ثم قال يا با حمزة إن الناس كلهم أولاد بغاة ـ أي أولاد زنا ـ ما خلا شيعتنا) ثم علق الخميني قائلاً: (والظاهر منها جواز الافتراء والقذف عليهم لكن الكف أحسن وأجمل لكنه مشكل إلا في بعض الأحيان، مع أن السيرة أيضا قائمة على غيبتهم.) [٢]

وبهذه الفتاوى المنحرفة الصادرة عن أئمة الشيعة قديماً وحديثاً نرى أنهم يجيزون للشيعة استباحة دماء أهل السنة وأموالهم وأعراضهم، وهذا مايفسر لنا مدى الإستهانة التي نراها اليوم بدمائنا وأموالنا وأعراضنا.

فتاوى استحلال المتطرفين من السنة لدماء من يخالفهم من طائفتهم:

فشت هذه الظاهرة الخطيرة بين هؤلاء المتطرفين فهان عليهم قتل النفوس المحرمة حتى المسلمين من أهل السنة. وهذه الظاهرة الخطيرة بحاجة الى دراسة علمية هادئة لمعرفة أصولها ومنطلقاتها، ومن ثم بيان الحكم الشرعي فيها. يستند هؤلاء فكرياً في رأيي إلى قضية كثر حولها الجدل والكلام منذ أمد بعيد وهي السؤال التالي: هل جماهير المسلمين موحدون توحيداً كاملاً أم أن هناك شك في توحيدهم؟ فبعضهم يشكك في توحيدهم بدعوى عدم تفريقهم بين توحيد الألوهية والربوبية، أو لوجود بعض الإلحاد في أسماء الله وصفاته.[٣] أو لممارستهم لبعض مظاهر الشرك من الدعاء أو النذر لغير الله، أو التوسل

(١) أنظر كتاب: المكاسب المحرمة للخميني: ١/ ٢٥١ مع تذييلات لمجتبى الطهراني مؤسسة اسماعيليان للطباعة والنشر والتوزيع الطبعة الثالثة تاريخ النشر: ١٤١٠ هجري قمري

(٢) المصدر السابق الجزء الأول ص: ٢٥٢

(٣) لهذا الإلحاد أنواع خمسة هي: ١- أن يُسمى الرب سبحانه وتعالى بما لم يسم به نفسه: كتسمية الفلاسفة إياه (العلة الفاعلة) أو (العقل الفعال)، وتسمية النصارى إياه:

بالأولياء والصالحين ممن مضوا، وزيارة قبورهم بقصد التبرك وقضاء الحاجات. بها وما إلى ذلك من أمور لا تخفى من حال المسلمين. ولا شك بأن هذه التصرفات غير مقبولة شرعاً، وهي مخالفة لعقيدة التوحيد الخالصة. ولكن السؤال الهام هو: هل يجوز بناء على هذا استباحة دماء هؤلاء بسبب هذه البدعيات وما يتبعها من تصرفات مرفوضة شرعاً. أو القول بأنهم ارتدوا، وبذلك يصبحون في نظر بعضهم أشد كفراً من أهل الديانات المخالفة! (١)

قال الشيخ أحمد الرضيمان

(مسائل التكفير هي من مسائل الأسماء والأحكام، لا يحل للجاهلين التكلم بها، ولا بغيرها من مسائل الشرع الأخرى، عملا بقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴾[الإسراء: ٣٦]

فالتكفير مَرَدُّه وحُكْمُه إلى اللهِ ورسولِه، وليس لأحد في هذا حكم، وإنما على الناس إيجاب ما أوجبه اللهُ ورسولُه، وتحريمُ ما حَرَّمه اللهُ ورسولُه.) (٢)

ماهو التوصيف الشرعي لهؤلاء المتطرفين الإرهابيين؟

لعل أقرب وصف شرعي ينطبق عليهم أنهم لهم شبه بالخوارج، وقد جادل بعضهم في هذا فقالوا: هم لم يخرجوا على إمام شرعي انعقدت له لولاية بطريقة شرعية معتبرة، وإنما خرجوا على حكام تولوا أمر الناس بالقوة والتغلب ولم يحكموهم بما شرع الله بل بالقوانين الوضعية.

والحقيقة أنه لم يرد في النصوص الشرعية ما يدل على اشتراط (الخروج على الإمام المسلم للوصف بالخروج)، بل كل من

(الأب)، وتسمية الماسونيين إياه : (مهندس الكون الأعظم)، ونحو هذه الإطلاقات. وكذلك الصفات لو وصف الله بها لم يصف به نفسه، فإن هذا يعد إلحاداً، لأن أسماء الله وصفاته توقيفية.

٢- تسمية الأصنام بأسمائه سبحانه، أو نسبة أفعاله إليها : كما فعل مشركو العرب؛ سموا بعض آلهتهم بأسماء الله مع نوع تحريف فقالوا: (اللات) أخذاً من الإله، و (العزى) من العزيز، و (مناة) من المنان.

وكذلك لو أسندت بعض أفعال الله إلى هذه الآلهة المزعومة، فنسب إليها الضر، والنفع، والإحياء، والإماتة، فهذا إلحاد في صفاته أن أضيفت إلى غيره سبحانه.

٣- تعطيلها بنفيها، أو نفي ما دلت عليه من المعاني اللائقة به سبحانه : فمن الإلحاد في أسمائه أن يقول : ليس بسميع، ولا بصير، ولا عليم. وهذا صنيع الجهمية.

ومن الإلحاد في صفاته أن يقول: سميع بلا سمع، بصير بلا بصر، عليم بلا علم. وهذا صنيع المعتزلة.

٤- تمثيلها بصفات المخلوقين : لأنه حمل لها على غير مراده سبحانه، بأن شبه الإله الكامل، بالمخلوق الناقص.

٥- وصفه سبحانه بالنقائص والعيوب : كما وقع من اليهود حينما وصفوه بالإعياء، والتعب، والفقر، والبخل، فقالوا: (إِنَّ اللهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَاء) آل عمران : ١٨١، وقالوا : (يَدُ اللهِ مَغْلُولَةٌ)المائدة: ٦٤

(١) هذا ماتواتر عن أتباع مايسمى بالدولة الإسلامية في العراق والشام.

(٢) في مقال له بتاريخ: ٨ يونيو، ٢٠١٣. أنظر صفحة (السكينة) على الشبكة الالكترونية:www.assakina.com

كان على معتقدهم ومنهجهم، موافق لهم فهو من الخوارج سواء خرج على الإمام أم لم يخرج.

فالخروج على الأئمة عند الخوارج نتج عن تكفيرهم لهم بغير حق، ومن ثم استباحوا دماء المسلمين، فإن وجدَ الخوارج الإمام خرجوا عليه واستباحوا الدماء والأموال، وإن لم يجدوا الإمام استباحوا دماء عامة المسلمين ولا يسلم منهم حتى خيارهم من المجاهدين والعلماء والدعاة.

وتسميتهم بـ "الخوارج" إنما هي لخروجهم عن أحكام الدين ومفارقتهم جماعة المسلمين، كما قالﷺ: (**سَيَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ قَوْمٌ أَحْدَاثُ الْأَسْنَانِ، سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ، يَقُولُونَ مِنْ خَيْرِ قَوْلِ الْبَرِيَّةِ، يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ حَنَاجِرَهُمْ، يَمْرُقُونَ مِنَ الدِّينِ كَمَا يَمْرُقُ السَّهْمُ مِنَ الرَّمِيَّةِ، فَإِذَا لَقِيتُمُوهُمْ فَاقْتُلُوهُمْ، فَإِنَّ فِي قَتْلِهِمْ أَجْرًا لِمَنْ قَتَلَهُمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ**)[1]

(قال الحافظ ابن حجر في "فتح الباري": "سُموا بذلك لخروجهم عن الدين، وخروجهم على خيار المسلمين".

وقال النووي في "شرح مسلم": "وسموا خوارج؛ لخروجهم على الجماعة، وقيل: لخروجهم عن طريق الجماعة، وقيل: لقولهﷺ: (يَخْرُجُ مِنْ ضِئْضِئِ هَذَا).

وحين اختلف الناس في حكم التتار جعلهم ابن تيمية من جنس الخوارج مع أنهم لم يخرجوا على إمام.

قال الحافظ ابن كثير في "البداية والنهاية": "وَقَدْ تَكَلَّمَ النَّاسُ فِي كَيْفِيَّةِ قِتَالِ هَؤُلَاءِ التَّتَرِ مِنْ أَيِّ قَبِيلٍ هُوَ، فَإِنَّهُمْ يُظْهِرُونَ الْإِسْلَامَ، وَلَيْسُوا بُغَاةً عَلَى الْإِمَامِ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا فِي طَاعَتِهِ فِي وَقْتٍ ثُمَّ خَالَفُوهُ!.

فَقَالَ الشَّيْخُ تَقِيُّ الدِّينِ (أي ابن تيمية):هَؤُلَاءِ مِنْ جِنْسِ الْخَوَارِجِ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى عَلِيٍّ وَمُعَاوِيَةَ، وَرَأَوْا أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِالْأَمْرِ مِنْهُمَا، وَهَؤُلَاءِ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ أَحَقُّ بِإِقَامَةِ الْحَقِّ مِنَ الْمُسْلِمِينَ".

وإن أقام الخوارج دولتهم، فهذا لا ينفي عنهم صفة الخروج، فما زال الخوارج يقيمون الدول والإمارات على مَرِّ التاريخ، بل فيهم من ادعى الخلافة، ولم ينزع ذلك صفة الخروج عنهم لمجرد وصولهم للحكم، طالما أنهم يكفرون أهل الإسلام ويستبيحون دماءهم.[2]

إن الذي غاب عن أذهان هؤلاء المكفرين المعاصرين هو عدم استحضارهم لواقع المسلمين وما عانوه ما يزالون يعانونه

---

(١) متفق عليه.

(٢) اقتباساً من الصفحة الالكترونية لهيئة الشام الإسلامية تحت مقال بعنوان: هل تنظيم (الدولة الإسلامية) من الخوارج؟ وعنوان الصفحة هو : www.islamicsham.org

من تجهيل بحقائق الإسلام، وحرب فكرية مقصودة. فأمتنا الإسلامية مرت بعصور من التجهيل، بل ومحاربة للإسلام ورموزه الحقيقيين من أهل العلم والدعوة الى الله، وتولى مسؤولية هذا بادئ الأمر الإستعمار الغربي، ثم وبعد رحيله عن أرض المسلمين قام أولياؤه بمتابعة المسيرة حتى وقتنا الحالي.

لقد استعمل المستعمرون الغزو الفكري من خلال الدراسات الإستشراقية للتشويش على عقول الفئة المثقفة أولاً، ثم من خلال حملاته التبشيرية الوافدة من أوروبا للعالم الإسلامي، فاشتملت هذه الجهود على دراسة مصادر الإسلام الأساسية من قرآن وسنة إضافة للتركيز على حركة الفلسفة عند المسلمين، ودراسة التاريخ الإسلامي بعيونهم المعادية. كما قام أتباعهم بتكريس وتعميق هذا الحملة من خلال تغيير مناهج التعليم الرسمية في بلاد المسلمين بحيث غدت هزيلة الى جانب مامسها من تشويه وتحريف. كما حوربت مظاهر الصحوة الإسلامية بفكرها ورجالاتها وحركات حرباً لا هوادة فيها.[١]

وهنا يبرز السؤال الهام: كيف يتسنى لهذه الأجيال المسلمة التي تعيش في مثل هذه الظروف القاسية المشوهة لحقائق الإسلام أن تعرف حقيقة التوحيد وما يستلزمه وما يتفرع عنه ؟

لا شك أنه عندما كان المسلمون في موقع القيادة والقوة على مستوى العالم. لم تكن حالتنا كما هي اليوم لانتشار العلم والعلماء، ولشعور المسلمين بالفخر بإسلامهم، مما أعطاهم قوة نفسية بأنهم هم الأفضل بين الأمم. وبالتالي فإن الأخطار التي كانت ذات تأثير على عقائد المسلمين – عدا خطورة الطرح الفلسفي اليوناني – كانت نابعة من اجتهاداتهم هم واختلافاتهم فيما بينهم، باعتبار أنه لم يكن لدى اليهود أو المسيحيين أو الهندوس أو البوذيين أو غيرهم طروحات عميقة يمكن أن تهدد الطرح الإسلامي. لكنه عندما تأخر المسلمون وصاروا في نهاية ركب الأمم، سيطرت على كثير منهم الهزيمة النفسية، ففقدوا مناعتهم الفكرية والروحية، وبذلك أصبحوا عرضة لكل فكر غاز ولو كان فيه السم الزعاف. فالأخطار– عبر الغزو الفكري – استمر قدومها عبر البحار، لكنها في هذه الحالة لم تأت من خلال الأساطيل الحربية بل بالأفكار الغازية الدروسة بعناية من أرباب الغزو الفكري مما يجعلها مؤثرة على العقول بفعالية، وفي مقدمة هذه المبادئ: (الإلحاد والعلمانية)وبهذا أصبح الغربيون يقودون العالم فكرياً وسياسياً واقتصادياً وعسكرياً وإعلامياً.

وأخيراً أقول: كيف يمكن الحكم بالكفر على جماهير المسلمين بهذه السهولة وبدون أدنى روية رغم ما هم فيه من تجهيل واستغفال؟! أليس من الأولى الرفق بهم وبذل الجهد المطلوب لتعليمهم حقائق دينهم بالحكمة والموعظة الحسنة كما أمرنا بذلك مولانا سبحانه؟ بأي حق يتم قتلهم واعتبارهم من المرتدين وبناء على هذا فإن قتالهم – في نظر هؤلاء – أولى من قتال الكافرين أصلاً ؟!

(١) فنصبت المشانق لرواد الفكر الإسلامي، وزج بأتباعهم في السجون، وحيكت التهم الملفقة لهم بالعمالة للأجنبي والعمل على عودة البلاد لغصور التخلف والرجعية.

الحكم الشرعي في التكفير:

متى يحكم على المسلم بالكفر؟ وما العقوبة الشرعية لمن يكفر الناس بغير حق؟

مما سبق يتبين لنا الآثار المدمرة للفرد وللمجتمع لظاهر ة التكفير. ونحن نعلم من ديننا أن التكفير أمر خطير يجب على المسلم ألا يقربه مطلقاً. فوظيفة المسلم ابتداء هي العناية بأمر نفسه عقيدة وعبادة وسلوكا، ومن ثم الدعوة لدينه بالحكمة والموعظة الحسنة بقدر مايستطيع.

(روى ابن زنبر، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر: أن رسول اللهﷺ قال: إذا سمى الرجل الآخر كافراً، فقد كفر أحدهما، إن كان الذي قيل له كافر فقد صدق صاحبه كما قال له، وإن لم يكن كما قال فقد باء الذي قال بالكفر.)

وكذلك رواه يحيى بن بكير، عن ابن وهب، عن مالك، عن نافع، عن ابن عمر، عن النبي – عليه السلام – مثله سواء، والحديث لمالك عنهما جميعا، عن ابن عمر، عن النبيﷺ صحيح.

والمعنى فيه عند أهل الفقه والأثر – أهل السنة والجماعة – النهي عن أن يكفر المسلم أخاه المسلم بذنب أو بتأويل لا يخرجه من الإسلام عند الجميع ، فورد النهي عن تكفير المسلم.)[1]

إن التساهل في تكفير الناس ليس من أخلاق أهل السنة والجماعة، وإنما هو من عقائد المعتزلة والخوارج ومن سلك مسلكهم. ومن هنا وضع علماؤنا معالم واضحة للحكم بالتكفير وسموها: (نواقض الإيمان)وهي على ثلاثة أقسام:

(نواقض اعتقادية: وتشمل (القولية والعملية): وهي كل عقيدة تخل بركن من أركان الإيمان، أو تخالف أي معتقد من المعتقدات الإسلامية القاطعة، كإنكار الخالق سبحانه، أو صفات الكمال فيه، أو القول بأنه ثالث ثلاثة، أو إنكار نبوة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام جميعاً، أو نبي منهم، أو تكذيبهم، أو إنكار الملائكة أو الكتب السماوية إجمالا، أو إنكار القرآن الكريم،أو آية منه، أو إنكار اليوم الآخر، أو الجنة والنار وغيرها من الأمور الثابتة بدليل قطعي، وكذلك الأمور المتصلة بالأحكام الشرعية كإنكار حكم من أحكام الشريعة الثابتة بدليل قطعي والمعلومة من الدين بالضرورة كأركان الإسلام الخمسة وغيرها.

ونواقض عملية: وهي كل عمل يعتبر أمارة ظاهرة على عقيدة مكفرة،كتمزيق المصحف مع قرينة الإهانة، أو إلقائه في القاذورات، أو السجود لصنم، أو تعليق الصليب على الصدر، أو غير ذلك مما هو من أعمال الكفار الخاصة مع قرينة التعظيم والاستحباب.

(١) التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد لأبي عمر يوسف بن عبد الله بن محمد بن عبد البر. الجزء: ١٧ ص:١٣

ونواقض قولية: فالناقض القولي: هو كل قول فيه اعتراف بعقيدة مكفرة، أو فيه جحود لعقيدة من عقائد الإسلام المعلومة من الدين بالضرورة، أو فيه استهزاء بالدين في عقائده أو أحكامه كالسباب للخالق – عز وجل– والرسل عليهم السلام.)[١]

(١) إقتباساً من صفحة: جامعة الإيمان. على الموقع التالي www.jameataleman.org :

المبحث الرابع

الحلول المنهجية للتخلص من هذه الظاهرة

يعتقد الكثيرون بأن الحل الأمثل لهذه الظاهرة هو في قمعها عسكرياً، وبناء على هذا تم عقد تحالف دولي بقيادة أمريكا تحت مسمى: (التحالف الدولي للقضاء على الإرهاب). ولكن وبرغم مضي أكثر من عام على هذا التحالف وقيامه بضربات عسكرية كثيرة وقوية فإننا لا نرى له أثرا كبيراً في القضاء على هذه الظاهرة الخبيثة، بل نلاحظ – أحياناً – زيادة في تأييد هذا التنظيم من بعض الشباب بل والشابات من أقطار متعددة، ومنهم من ولد وترعرع في بلدان أوروبية.

لقد أوضحت في المبحث الأول من بحثي هذا أن لهذه الظاهرة جذورها وأسبابها. ولخصتها بثلاثة أسباب هي:

١ – أنظمة القمع السائدة في العالم العربي عموماً.

٢ – تجفيف المنابع، وإبعاد العلماء المخلصين عن مراكز التوجيه.

٣ – ظهور المد الشيعي، ومحاولته الدؤوبة للسيطرة على العالم الإسلامي.

٤ – الحالة الإقتصادية المزرية.

ولا يشك عاقل في أن العلاج الحقيقي لظاهرة الإرهاب هي في التصدي لهذه الأسباب، وذلك بالعمل على تلافيها بالتدريج وبصورة جدية على مستوى الأفراد والجماعات، وعلى المستوى الحكومي والشعبي. وتفصيل هذا الأمر يحتاج إلى كتاب كامل كما هو معلوم. لذا أكتفي ببعض الإضافات لما ذكرته من أسباب إسهاماً مني في علاج هذه الظاهرة الخطيرة:

١ – بالنسبة لأنظمة القمع السائدة في عالمنا العربي:

لا يستطيع أحد الإدعاء بوجود علاج سريع للخلاص من هذه الأنظمة المتحكمة. فهي قد تسلطت على الرقاب بسبب غفلة المسلمين، وبعدهم عن دينهم، وعدم تمسكهم بأهدابه. والتغيير يتطلب أولا عودة لهذا الدين قولاً وفعلاً في جميع نواحي الحياة، أفراداً وجماعات. وهذا يحتاج لوقت ليس بالقريب وجهد ليس باليسير. ونحن متعبدون بالعمل بالوسائل، ولسنا

متعبدين بالنتائج لأنها في يد الله سبحانه:

على المرء أن يسعى وليس عليه إدراك النجاح

وبعد هذا تأتي مرحلة تشكيل الوعي العام لدى الجماهير بأن من حقها الطبيعي أن تنال حريتها وكرامتها وحقوقها المسلوبة في العدالة والعيش الكريم، وأنه لا يمكن لطائفة ما أو جماعة أو حزب أن يتحكم في شعب ما وإلى الأبد.(١)

والأصل في الخلاص من هذه الأنظمة هو: الحل السلمي والتغيير الإجتماعي المنهجي المتدرج والمتواصل، ومن الممكن العمل على تطوير منظمات العمل المدني والخدمات الإجتماعية لنشر العلم والتوعية للمطالبة بالحقوق المهدورة.

٢- أما فيما يتعلق بتجفيف المنابع، وإبعاد العلماء المخلصين عن مراكز التوجيه. فمتعلق بالسبب الأول إذ لا يمكننا التحرر من ضغوط الدول المعادية للإسلام والتي تملي على حكامنا هذه الأمر: (تجفيف المنابع الإسلامية)إلا بعد أن نحرر أنفسنا من العبودية لغير الله على المستوى الفردي أولاً، ومن ثم على المستوى الإجتماعي.

فهذه المنابع التي يراد تجفيفها هي سر قوة هذه الأمة، فلولاها لظللنا نكرة بين الأمم، نغوص في جاهليتنا التي عُرفنا بها قبل الإسلام. وما أجمل هذه الأبيات المعبرة للشاعر العراقي (وليد الأعظمي):

شريعة الله للإصلاح عنوان وكل شيء سوى الإسلام خسران لما تركنا الهدى حلت بنا محن
وهاج للظلم والإفساد طوفان لا تبعثوها لنا رجعية فترى باسم الحضارة والتاريخ أوثان
لا حامرابي ولا خوفو يعيد لنا مجدا بناه لنا بالعز قرآن

تاريخنا من رسول الله مبدؤه وما عداه فلا عز ولا شان

محمد أنقذ الدنيا بدعوته ومن هداه لنا روح وريحان

لولاه ظل أبو جهل يضللنا وتستبيح الدما عبس وذبيان

لذا لا بد من إصلاح مناهج التعليم بجميع مراحله لتقوم بواجبها في إعداد الأجيال القادمة إعداداً إيمانياً وعلمياً جيداً، كما لا بد من إصلاح طرق التدريس لتوائم التطور الحاصل في بقية البلدان. فلن تنهض هذه الأمة إلا بالعودة إلى أصالتها: إحتراماً لعقيدة التوحيد، والتزاماً بأحكام الإسلام، وإحياء لتراثنا الفكري ومخزوننا الثقافي.

(١) كان شعار أتباع النظام السوري أيام حافظ لأسد: (حافظ الأسد رئيسنا إلى الأبد) وبعد هلاكه حاز ابنه (بشار) الشعار نفسه. بل زادوا على ذلك فقالوا: (الأسد أو نحرق البلد)وهاهم يحرقون البلد فعلاً.

ومن الواجب أن يتولى هذه المهمة العلماء الربانيون المخلصون الذين يناط بهم تعليم الأمة حقائق دينها بدون غلو ولا تفريط. ولا شك بأن للعلماء دورهم في هذا المجال، فهم القادة الحقيقيون للشعوب. قال تعالى متوعداً علماء أهل الكتاب لتقاعسهم عن أداء مهمتهم: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَتُبَيِّنُنَّهُ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُ فَنَبَذُوهُ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ وَاشْتَرَوْا بِهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ﴾[1]

وقال الشاعر:

يامعشر العلماء ياملح البلد ما يصلح الملح إذا الملح فسد

٣- أما المد الشيعي:

فسيضعُف بالتدريج كلما رجع انتشر الوعي، وآب المسلمون لعقيدة التوحيد الصافية، ورفضوا التبعية التي يُراد فرضها عليهم، وتعاونوا على الوقوف صفاً واحداً في وجه أطماع من يريدون العودة بالأمة إلى زمن الفتن والخلافات التاريخية التي عفى عليها الزمن. فما على المسلمين إلا أن يفقهوا عقيدتهم الداعية للتوحيد الخالص وحقائق دينهم، ويتعرفوا على كنوزه، ويعتصموا بحبل الله. وبذلك يزول عن كاهلهم الضعف الشديد الذي يعانون، والتبعيات المهينة التي يكابدون. فمنذ متى كان في تاريخنا الإسلامي قداسة لفقيه تمنحه العصمة الربانية والولاية الكاملة على رقاب المسلمين !! ومتى ترك المسلمون عبوديتهم لله ليعطوها لبشر ما ليكونوا عبيداً له من دون الله؟!! و هل كان بإمكان الأمة المسلمة أن تتقدم وتحقق نصراً على أعدائها لو أنهم سلموا زمام قيادتهم لفئآم من الحاقدين الموتورين الذين يتقربون إلى الله بلعن الجيل القرآني الفريد: جيل صحابة المصطفى عليه الصلاة والسلام!!

٤- أما الحالة الإقتصادية المزرية:

فالحديث عنها ذو شجون، وأعتقد أنه لن يتم أي إصلاح إقتصادي ما لم يتم الإصلاح السياسي لارتباطهما ببعض ارتباطاً وثيقاً كما هو معلوم عند علماء السياسة والإقتصاد والإجتماع جميعاً.

فلا يمكننا التقدم إقتصادياً مادام المفسدون يتحكمون برقاب العباد. والفاسد امرؤ خال من الإيمان أو هو يملك رصيدا ضعيفاً جداً لا يحجزه عن محارم الله، لذا فهو غير مؤتمن على شؤون الناس. كما أننا بحاجة لبناء الكوادر العلمية والفنية

(١) سورة آل عمران: الآية ١٨٧

الوطنية، ومن ثم وضعها كل في مكانه المناسب. [١] إضافة لبناء البنية التحتية التي تبني إقتصاداً وطنياً حراً لا يرتبط بأجنبي ولا برأس مال مشبوه. وهذا لن يحصل إلا عندما نقضي على الفساد والمفسدين. وإلا فما تبنيه جماعة يذهب ببنيانها أخرى تهدم، وهكذا دواليك. قال الشاعر:

متى يبلغ البنيان يوماً تمامه... إذا كنت تبنيه وغيرك يهدم ؟!

وتكفينا التجربة التركية مثالاً على نجاح العملية الإقتصادية عندما يكون البلد بأيد أمينة نظيفة مخلصة. [٢]

وفي النهاية أؤكد القول:

إن مجرد القمع العسكري القائم حالياً على مختلف الأصعدة لن يؤدي للنتيجة المرجوة في القضاء على الإرهاب. بل أخشى أن يزيد من أواره. إذ لا بد من معالجة الأسباب الحقيقية التي أدت لظهوره والتي أتيت على ذكر أهمها وأخطرها. وهذا يتطلب تغييراً حقيقياً في واقع حياة المسلمين، والتغيير المطلوب يتطلب نية خالصة وجهوداً مضنية على مستوى الأفراد والجماعات. قادة وجماهير. حكاماً ومحكومين. فما دام الظلم والإضطهاد والقمع مسيطراً، والفساد وسرقة أموال الشعب شائعاً، وما دامت أطماع بعض الدول قائمة تعمل جاهدة على إحياء امبرطورياتها البائدة فإن حلم القضاء على ظاهرة الإرهاب يبقى بعيد المنال والله أعلم.

قال تعالى مبشراً المؤمنين العاملين:

﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ كَمَا ٱسْتَخْلَفَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ ٱلَّذِي ٱرْتَضَىٰ لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّنۢ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْـًٔا وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴾ [٣]

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين...

(١) هذه إحدى الجوانب الهامة التي طبقها أعداؤنا مع أنها من صلب ديننا ولكننا تغافلنا عنها، وهي وضع الإنسان المناسب في المكان المناسب.

(٢) أصبحت تركيا واحدة من أعلى نسب النمو في العالم وأصبحت بسكانها البالغ عددهم ٧٣ مليونا تحتل المرتبة السابعة عشر في الاقتصاد العالمي، كما حققت تركيا في عام: ٢٠١١ م رقما قياسيا في صادراتها إذ بلغت مئة وأربعة وثلاثين بليونا وستمئة مليون دولار كما حققت نجاحات هائلة في زيادة دخل الفرد والرعاية الصحية والتعليم،

(٣) سورة النور الآية ٥٥